# مقدمة

يمر العمر وتبقى ذكرياته محفورة في أذهاننا كتواريخ بحلوها ومرها، يُحفظ مع كل ذكرى نوع من المشاعر كأنه رائحتها الخاصة، تُدغدغ أنوفنا أثناء مرورها بخلدنا.

هنا سنحرر مظروف تفوح منه رائحة الحنين والشوق، السكينة والاطمئنان.. هنا سنحرر ذكرى لجمالها سن مدبب يفضله القلب رُغم ما يتركه به من ألم.

# مظروف من الزمن الجميل

**قصة قصيرة**

- لا لن أشارك في حفل اليوم، لقد تشاجرت مع منظم الحفل.

اتسعت حدقتا "زينب" بعد مفاجأة أختها التي ستصدم الجميع بلا أدنى شك، بل وستثير غضب أبيهما خاصة، أغلقت باب الغرفة خلفها لكي لا يسمعهما أحد، تقدمت حيث مكتب "نوال"، أسندت ظهرها عليه ثم ربعت ساعديها تسألها بذهول واستنكار:

- ممدوح بك! وهل هناك من يستطيع التشاجر معه؟!، فمنذ عودته من رحلة دراسته بالخارج وحصوله على الدكتوراه في الهندسة ثم عودته ليلتحق بالجيش ضابط مهندس، والجميع يحترمه ويحسب له ألف حساب.
- وما علاقتي بدراسته بالخارج؟، ثم إن الكثير اليوم يذهب للدراسة بالخارج أنتِ تتحدثين وكأنه أول من فعلها أو الوحيد الذي فعلها، أفيقي من سباتك نحن في 1951 لسنا في القرون الغابرة، الكثير دخل الجيش في نفس التخصص أيضا هو ليس الوحيد.
- ولكن هذه ليست ميزته الوحيدة وأنت علمين ما أقصد، أم يبدو أنك لم تنضجِ بعد رغم وصولك لسن السادسة عشر

يا "نوال"، لقد حاول والدي كثيرًا التقريب بينكما عندما رأى أنه رجل وزوج مناسب، ووطد علاقته بـ "سليم باشا" والده، ثم إن فكرة الحفلة من اقتراح أبي في الأساس، ستضعينه في موقف محرج لن يقبله ولن يسمح به وأنتِ تعلمين.

- وهل ستغصبونني على الزواج من هذا المتعجرف؟
- لن نغصبك على فعل ما لا تريدينه يا "نوال"، أنت لم تعطِ نفسك فرصة التعرف عليه.
- لا بل تعرفت عليه، ولا أنكر أُعجبت به في البداية ولكنه يتعامل معي بتكبر وعنجهية لا تتحملها كرامتي، وختم كل هذا بإحراجه لي اليوم أمام عدد كبير من الأصدقاء.
- ماذا فعل؟
- كنا نتحدث عن بعض أمور البلد، فقلت رأيي اعترضت على بعض القوانين والقرارات؛ فأفحمني بردود قاسية لم أستطع بعدها التفوه بحرف، أظهرني بمظهر الحمقاء، وقال لي في نهاية حديثه

"هل فهمتِ ما قلت؟، أعتقد لا فعقلية النساء ولاسيما الفتيات الصغار أمثالك لا تنضج سريعًا حتى وإن نضجت لا يحوي عقلها سوى عدة أسئلة لا تخرج عنهم "ماذا سأرتدي؟، ومن أين أشتري ثيابي؟، وما الطعام الذي أفضله؟ وكيف سأوقع بفارس أحلامي؟"، فلا تقحمي أنفك الصغير هذا فيما لا تعلمين عواقبه.

رفعت "زينب" حاجبيها وأطبقت شفتيها محاولة تقبل إهانة أختها ولكنها لم تستطع وفي نفس الوقت لن يتجرأ أحد ويقص

على أبيهما سبب اعتراض ابنته على هذا الشاب المثالي من وجهة نظره، فإن علم أن ابنته انتقدت الحكومة على الملأ لن يهينها كهذا الشاب فقط بل سيحبسها ما بقي من عمرها في القصر ولن تخرج منه للنور مرة أخرى.

دخلت ابنتها "نرجس" لترفع عنها الحيرة:

- أمي جدتي تريدكما في الأسفل.
- حسنا اسبقيني يا "نرجستي" ونحن سنلحق بكِ

لفت "زينب" ساعدها حول كتف أختها تتحدث بحنو وهي تجذبها للخارج:

- لقد أخطأ عندما عنفك بهذا الأسلوب، ولكن لن نستطيع إخبار أبي بهذا السبب؛ ولذلك دعينا نستعمل عقلنا الذي اتهمنا به هذا الأرعن ونستخدم كيد النساء للإيقاع به في شر أعماله أمام والدنا، ما رأيكِ؟

ابتسمت "نوال" وصفقت بطفولة، لقد أقنعتها أختها الكبيرة بسهولة كعادتها.

طويت عدة صفحات حتى صفحة الأيام التي تسبق عقد قران "نوال" و"ممدوح" بعد سنة من شجارهما والذي لم يكن الأخير، لقد توالى بعده شجارات تدَّخل فيها القاصي والداني من المحبين ليصلح بينهما فكلاهما عنيد، ولكن ما كان يزيد عناد "نوال" هو تحيز الجميع للرجل بصفته رجل فقط وليس لكونه صاحب حق، أي أن الحق يلازمه سواء كان مُخطأ أو مصيب بسبب جنسه فقط.

لم يكن من المفترض أن يتقابلا فزفافهما اقترب، ولكن شاء القدر أن تُدعى العائلتين لحفل أقامته عائلة من أعيان الدولة بسبب تقليد ابنهما منصب شرفي لقرب والده من قصر الملك.

تلاقت العينان فتقدم "ممدوح" منها قائلا بابتسامة جذابة:

- هل تسمحين لي بهذه الرقصة؟

مدت له يدها بخجل، لم تكن معتادة عليه، فرضه عليها صغر سنها وخيالها الذي كان يرسم حياتها بعد الزواج معه، التقط يدها برفق حتى ساحة الرقص، اتخذا وضعية رقصة "الرومبا" ثم شرعا فيها، عيناها مثبتة على صدره لا تجرأ على رفعهما في عينيه الجريئتين، بادر ليقتل هذا الخجل:

- أريد أن أحدثك في أمر هام، سنستمتع بالرقصة الآن ثم نهرب إلى ركن بعيد في الحديقة لأحدثكِ فيما أريد.

أومأت له برأسها علامة على الموافقة، ورقص قلبها معهما من الخوف والفرح، أرادت أن لا تنتهي الرقصة وفي نفس الوقت أرادتها تنتهي، تريد أن تعرف ما الأمر الهام التي يريدها فيه، وفي نفس الوقت تستمتع بالرقص معه، انتهت الرقصة أخيرًا، فازدادت وتيرة دقات قلبها كأنها كانت ترقص رقصة "الصالصا" وليست "الرومبا"، جذبها لينسلا بين الراقصين إلى الحديقة، جلسا على أحد مقاعدها ثم دخل مباشرة فيما يريد قوله بنبرة جدية.

- ما رأيك أن نتفق على ميثاق حياتنا القادمة الآن؟

أدارت رأسها إليه لا تفهم ما يعنيه، فالتف بجذعه قبالتها وأكمل ليشرح لها مقصده.

- دعينا نعقد هدنة لا نتشاجر فيها حتى انتهاء زفافنا وشهر عسلنا، لعلنا نعتاد على هذه الهدنة ونجعلها دائمة، لقد أخذ الشجار من سعادتنا الكثير، أتمنى أن يحاول كل منا امتصاص غضب الآخر ويسامح، لن أطلب منكِ أن تكوني أنتِ الطرف المسامح دومًا سأحاول معكِ، هل توافقين؟
- بالطبع أوافق، ولكن هل لي أن أطلب منك طلب يؤرقني، كلما فرحت باقتراب زفافنا.
- بالطبع وسأنفذه في الحال إن كان في استطاعتي.
- لا تقلل مني مطلقًا أمام أحد مهما كان، فهذا الفعل لا أسامح عليه بسهولة.
- أتقصدين يوم أن تحدثنا مع أصدقاءنا عن أمور تخص شؤون البلاد؟

خفضت عينيها لكي لا يرى صورته مكسورة في مرآة وجهها، فاعتدل في جلسته ونظر إلى السماء كأنه ينتظر موعد ما ثم أفرج عن رده أخيرا.

- كنت أتفق معكِ فيما قلته.

رفعت نظرها وتحول انكسارها لغضب، كادت تعلق فسبقها:

- ستعلمين سبب اعتراضي على تحدثك في هذا الأمر في الوقت المناسب ليس الآن، أعتقد أن الموعد بات قريبًا، لعل شهر يوليو يصبح شهر الفرج فنحن مازلنا في منتصفه.

تحدثت ومازال الغضب، يرسم ملامحها قبل أن يشكل حروف كلماتها، لقد تأكدت أنه لم يرد أن يظهرها بمظهر المثقفة، يريدها أن تكون أقل منه فقط:

- لا أحتاج الانتظار لشهر يوليو كي أفهم مقصدك، لقد فهمته الآن، أعذرني، تأخرت على والديّ وأختي.

حاول أن يوقفها ولكن منعه ظهور والدتها التي كانت تبحث عنها، فاعتذرت منه وغادرت مع ابنتها.

لم تستطع "نوال" الاعتراض على الزواج في هذا الوقت المتأخر، ولكنها قضت الأيام التي تلت هذا اليوم وقد ازدادت عصبيتها وحدتها، يظنوه توتر بسبب اقتراب موعد زفافها، لا يعلمون أنه بسبب عجزها عن رفض رجل احتقرته وتحاول ألا تسقي حبه في قلبها لتموت جذوره بلا رجعة، استمع الخالق لدعائها وحدث ما ألغى الزفاف ولكنه هدم معه حياتها كلها.

" من اللواء أركان الحرب محمد نجيب القائد العام للقوات المسلحة إلى الشعب المصري، اجتازت مصر فترة عصيبة في تاريخها الأخير من الرشوة والفساد وعدم استقرار الحكم، وقد كان لكل هذه العوامل تأثير كبير على الجيش وتسبب المرتشون والمغرضون في هزيمتنا في حرب فلسطين، وأما فترة ما بعد هذه الحرب فقد تضافرت فيها عوامل الفساد وتآمر الخونة على الجيش وتولى أمرها إما جاهل أو خائن أو فاسد حتى تصبح مصر بلا جيش يحميها.

وعلى ذلك فقد قمنا بتطهير أنفسنا وتولى أمرنا في داخل الجيش رجال نثق في قدرتهم وفي خلقهم وفي وطنيتهم ولا

بد أن مصر كلها ستتلقى هذا الخبر بالابتهاج والترحيب، أما من رأينا اعتقالهم من رجال الجيش السابقين فهؤلاء لن ينالهم ضرر وسيطلق سراحهم في الوقت المناسب.

وإني أؤكد للشعب المصري أن الجيش اليوم كله أصبح يعمل لصالح الوطن في ظل الدستور مجردًا من أية غاية وأنتهز هذه الفرصة فأطلب من الشعب ألا يسمح لأحد من الخونة بأن يلجأ لأعمال التخريب أو العنف لأن هذا ليس في صالح مصر وأن أي عمل من هذا القبيل سيقابل بشدة لم يسبق لها مثيل وسيلقى فاعله جزاء الخائن في الحال. وسيقوم الجيش بواجبه هذا متعاونًا مع البوليس، وإني أطمئن إخواننا الأجانب على مصالحهم وأرواحهم وأموالهم ويعتبر الجيش نفسه مسئولا عنهم والله ولي التوفيق."

"وكان هذا نص بيان اللواء أركان حرب محمد نجيب الذي وردنا في السابعة صباحا نعيده على مستمعينا الكرام، حفظ الله مصر وشعبها"

رفعت نظرها إلى الساعة العتيقة التي تزين الحائط المواجه لفراشها لتعلن بصوتها الجهوري بداية الساعة التاسعة مساءً، فهي الوحيدة التي تتحدث معها على رأس كل ساعة كأنها تذكرها بالوقت لكي لا تنساه بوحدتها، ابتسمت لها بحنين ترجوها أن توصل ابتسامتها لأفراد عائلتها الذين التحفوا بالتراب وتوسدوا اللحد لا يؤنسهم سوى عملهم، لم تفرط فيها هي وبضع مقتنيات قليلة أخذتهم خلسة من قصر والدها قبل عرضه للبيع في المزاد.

أخذت من بين صفحات دفترها ظرف فتحته لتتأكد من وجود مظروفها بداخله ومعه قلم قديم الطراز وكأنهما كنزها الثمين، أخذته وأعادت الدفتر إلى وحدة الأدراج بجانب فراشها، فكلما غلبها الحنين فتحته، لا لتكتب كالماضي بل لتقرأ مغامراتها هي وعائلتها وأصحابها، تسرح بخيالها وكامل وعيها مع الماضي، عاشت 86 عاما، 65 منهم كانوا حافلون وكأنهم مجموعة حيوات لعدد من الناس لكثرة الأحداث التي ملائتهم، على النقيض حياتها الحالية، رتيبة لا جديد فيها، تستطيع أن تكتب يوم واحد فيها وكل يوم تكتب على رأس صفحة جديدة "إعادة"، نظرت إلى المظروف تحدثه برقة وحنو:

- لقد فهمت سبب اعتراضك على رأيي يا حبيبي ولكن فهمته مؤخرا، فهمت أنك خفت عليَّ وأردت في نفس الوقت إخفاء هويتك كأحد الضباط الأحرار، وها أنا رددت لك إخلاصك هذا، ورفضت الزواج من غيرك حتى الآن، احتفظت بنفسي بكرًا لك في الجنان بإذن الله.

قامت بصعوبة بسبب جلوسها لفترة طويلة يبَّست قدميها وعرقلت الدورة الدموية فيها، فعجوز مثلها تحتاج ليد تساندها أثناء الحركة عكاز بشري تعتمد عليه، ولكنها كعادتها الحساسة أبت أن تثقل على أحد فقليل من عائلتها الذي يتواصل معها على فترات متباعدة وحدهم أبناء "زينب" من يودونها في مواعيد بناء على طلبها، بالإضافة إلى خادمتها المخلصة التي وظفوها للاعتناء بها، تأتي يومًا بعد يوم لطبخ طعام يكفي ليومين وتنظيف المكان، ولا تحتك بها كثيرا.

اتجهت إلى غرفة الجلوس محنية الظهر قليلًا، فتحت أحد الأدراج، أخذت هاتفها الخلوي التي كانت تكره استخدامه؛ لذلك تضعه على وضع الصامت في الدرج دائمًا، جلست مرة أخرى على أحد الأرائك وضغطت زر الهاتف لتطلب أحد الأرقام، وبعد جرس طويل كادت معه تفقد الأمل في أن تلقى الرد، جاءها صوت محدثها:

- هل قرأت الاسم على الشاشة صحيح؟
- كيف حالك يا "رجاء"
- بخير وخاصة بعدما سمعت صوتك يا "نوال"، لماذا هذه الغيبة؟، ألم يفقدك كبر السن شغفك بالوحدة؟، فمثلنا يريد الهدوء في معظم الوقت ولكن هدوء لا يخلو من الأحباب والأهل والأصحاب.
- لا والله بل يزيدني شغف بالوحدة، أعذريني لقلة سؤالي فأنت تعلمين قدركِ عندي حتى بدون أن تكوني من ريحة الحبايب.
- نعم أعلم ولكني أشتاق لجلستكِ فأنتِ تذكريني به، كنتما وجهين لعملة واحدة متشابهات في كل شيء ولكنكما تتعمدان أن تقفا مخالفان، ظهراكما هما ما يتقابلان.

ابتسمتا معًا فبادرتها "نوال":

- هل تعلمين ما أمسك في يدي الآن؟
- لا أحد يثبر أغوارك أنتِ وأخي، لم أحلم يوما بتوقع ما يدور في رأسيكما أبدًا.

- قبل أن أفض ما في يدي وأقرأه لكِ دعيني أخبرك، لو عاش أخوكِ إلى يومنا هذا ولم يستشهد بعد ثورة يوليو، ما كان تمنى أن يشارك فيما آمن به طوال عمره وضحى من أجله بحياته التي كانت غالية عندنا أكثر نفسه.

وضعت "نوال" الهاتف على المنضدة بجوارها، تمسح على وجنتيها لآلئها التي ما ملت من سقوطها من أجله، ثم فضت الظرف الذي تركه لها قبل وفاته بعد نجاح الثورة وتمكين الجيش من كل شيء لم يكن يعلم أن هناك من سيغدر به، قبّلت القلم بشغف كأنها تُقبّل أنامل صاحبه، ثم فتحت المظروف لتقرأ آخر رسالة من توأم روحها على مسامع أخته ليتشاركا شوقهما لأحباب سبقوهما إلى دار الحق.

**تمت بحمد الله**

2022\8\7